يريد أن يضربني بها ، فتعاركنا راقصين رقصة العصا حتى تهاوى على حافة السطح وهو يبكي ويقول : رحت يا صديق العمر ورحت معك !

فقلت انني رفعت الشرشف على عصا المكنسة ملبيا أمر المذيع من محطة الاذاعة الاسرائيلية . قال : حمار ، حمار !

قلت : ما شأني اذا كان حمارا ؟ ولماذا لا تستخدمون مذيعين سوى الحمير ؟

فافهمني ان المعني بالحمار هو أنا . أما مذيعو القسم العربي في محطة الاذاعة الاسرائيلية فكلهم عرب . ولذلك أساؤوا صياغة النداء فالتبس الامر عليك ، يا أحمق !

فدافعت عن بني قومي ، الذين يعملون في محطة الاذاعة ، قائلا : ما على الرسول الا البلاغ . يهتفون بما يلقنون . واذا كان رفع العلم الابيض على عصا مكنسة يسيء الى جلال الاستسلام فانكم لا تجيزون لنا حمل اي سلاح سوى المكانس .

وأما اذا كانت المكانس قد أصبحت ، منذ اندلاع نيران هذه الحرب ، سلاحا أبيض فتاكا لا يجوز لنا حمله الا بأذن ، كبارودة الصيد التي لا يؤذن بحملها الا للمخاتير وللمدمنين على الخدمة منذ الصغر ، فانني معكم أبا عن جد . وأنت تعلم ، يا صديق العمر ، باخلاصي المفرط للدولة ولأمنها ولقوانينها ، ما هو معلن منها وما سوف يعلن !

وكان صديقي يعقوب يستمع الى هذياني وهو مشدوه الفم لا يقوى على كفكفة الدمع المنسكب على وجنتيه فلا يقوى على كفي عن الهذيان .

حتى تمالك جأشه فأوضح لي ما وقعت فيه من التباس قرر رئيسنا الرجل الكبير ، ذو القامة القصيرة ، انه ليس التباسا بل نفير بشق عصا الطاعة على الدولة .

قلت : كلها عصا مكنسة !

قال : نداء المذيع موجه نحو عرب الضفة ، ان يرفعوا الاعلام البيضاء استسلاما أمام الاحتلال الاسرائيلي . فما شأنك أنت في ذلك في حيفا ، التي هي في قلب الدولة ولا أحد يعتبرها مدينة محتلة ؟

قلت : زيادة الخير خير !

قال : بل اشارة الى انك تعتبرها مدينة محتلة ، فتدعو الى فصلها عن الدولة .

قلت : ان هذا التأويل لم يدر في خاطري أبدا .

قال: اننا لا نأخذكم على ما يدور في خواطركم بل على ما يدور في خاطر الرجل الكبير . وهو يرى ان العلم الابيض ، الذي رفعته على سطح بيتك في حيفا ، هو دليل على انك تقوم بحركة انفصالية عن الدولة ولا تعترف بها .

قلت : انك تعلم علم اليقين انني مفرط في خدمة الامن ولا أفرط به .

قال : أصبح الرجل الكبير يعتقد بأن افراطك هو تمويه على تفريطك . ويستعيد الرجل الكبير أصلك وفصلك أدلة على انك تتغابى ولكنك لست بغبي . فلماذا لم تعشق سوى يعاد ولم تتزوج سوى باقية ولم تنجب سوى ولاء !

قلت : الم يسأل الرجل الكبير لماذا لم أولد سوى عربي ولماذا لم أجد وطنا سوى هذه البلاد ؟

قال : قم معي واسأله .

ولكنهم أخذوني الى غور بيسان وزجوا بي في سجن شطة الرهيب .